# المنهج القويم في تفسير القرآن العظيم

د. فراس يحيى عبد الجليل الهيتي

## المقدمة

لما كان هذا البحث المتواضع يهدف إلى بيان أن القرآن العظيم ينبغي أن يحمل على أحسن المحامل وأفصح الوجوه فقد رأينا أن هذه القضية تحتاج لإثبات أو لمزيد بيان و إيضاح ، لذلك اعتمدنا في بحثنا هذا على شذرات متفرقة مبثوثة في ثنايا كتب التفسير وعلومه ، وبعض قواعد الفقه وأصوله، حيث إن حمل النص القرآني على المعروف من كلام العرب دون غيره من الأوجه المطرّدة دون الشاذ والضعيفة ، وعلى الأكثر استعمالا دون القليل والنادر مقيد بما تعارفه العقلاء من أهل اللغة ، وهو الذي تتلقاه العقول السليمة بالقبول ، فلا يصح حمله على جهة ركيكة تنأى عن اللغة الفصحى ، لأن هذا يجر إلى نسبة الجهل للشارع باختيار فصيح الكلام ، ولا على المعاني الشاذة التي جرت عليها العادات الفاسدة عند بعض الناس ، ولا يسوغها الفصحاء من أهل اللغة[1] ،لأن الشاذ[2] وكذا الضعيف[3] ، والمنكر[4] ومثلها القليل ومثلها النادر[5] . حيث إن كثرة الاستعمال عليه مدار الفصاحة ، فما كثر استعماله في ألسنة العرب الموثوق بعربيتهم فهو الفصيح ، فإن تعارضت قوة القياس وكثرة الاستعمال فكثرة الاستعمال هي المقدمة ، وقد نص على ذلك كله غير واحد من أئمة العربية[6] .

ويدخل تحت هذا الاطار العام ، ومالم تستعمله العرب البتة ، ولم يرد في لسانها وقت نزول القرآن ، وذلك كالاصطلاحات والمعاني الحادثة المستجدة – كما سوف نبينها في أثناء هذا البحث– والتي حدثت بعد عصر التنزيل ،لأن الله تعالى خاطب العرب باللغة ، والعادة[7]، والعرف[8] التي كانت موجودة وقت نزول القرآن لا بما حدث بعد ذلك ، ومَن فسّر القرآن بتلك المعاني الحادثة فقد زعم أن الله خاطب العرب بما لم يعرفوا من لغتهم ، وهو في زعمه باطل . فيجب أن يفسر القرآن

---

[1] - انظر: الكليات : ٥٢٨-٥٢٩.
[2] - الشاذ : هو الذي يكون وجوده قليلا ، لكن لا يجئ على القياس . أنظر: الكليات :٥٢٨.
[3] - الضعيف :الذي أنحط عن درجة الفصيح ، ويكون في ثبوته كلام . انظر : المزهر :٢١٤/١ ، والاشباه والنظائر في النحو : ٢٦٣/١.
[4] - المنكر :الذي هوأضعف الضعيف ،وأقل استعمالا بحيث أنكره أئمة اللغة ولم يعرفه انظر :المزهر :٢١٤/١ ، الكليات :٥٧٥.
[5] - النادر : وهو ما قل وجوده وإن لم يكن بخلاف القياس ، وهو أقل من القليل انظر: المزهر : ٢٣٤/١ ، الكليات :٥٢٩ .
[6] - منهم ابن جني في الخصائص :١٢٤/١-١٢٥ ، والسيوطي في المزهر : ١٨٧/١.
[7] - العادة : ما استمر الناس عليه على حكم المعقول وعادوا اليه مرة بعد أخرى . أنظر: التعريفات :٨٣
[8] - والعرف : ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول أنظر: التعريفات :٨٥.

وتفهم نصوصه بحسب مدلولاتها الشرعية والعرفية واللغوية في عصر نزل القرآن ، لا من بعده كما سنبينه في الأسباب الآنفة الذكر،ودلالة القرآن على هذا الكلام واضحة جليّة ، وذلك من وجوه أذكر منها ما يأتي :

١- إن الله تعالى خص عباده على تدبر القرآن وتعقله فقال تعالى :( كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولو الألباب )[١]. وقال تعالى:( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها )[٢] . وأخبر سبحانه عن تفسيره للقرآن في تلاوته وحفظه ، وفي فهمه وتدبره بقوله( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر )[٣].

وتدبره لا يكون إلا بفهم معانيه ، ومن تيسير الله تعالى له أن تفهمه الأمة ثم تعمل به ، وفهمه والعمل به لا بد لهما من العلم بمعانيه التي تُحمل عليها ، وهذا خطاب عام للأمة جميعا ، ولا يكون لجهود الأمة تدبر وتفهم لمعانيه إلا إذا كانت تلك المعاني هي المعروفة والمشهورة من لسان العرب ، ولا ما قلّ استعماله وندر ، وإن حمله على المعاني الغريبة ، أو النادرة أو قليلة الاستعمال ينا في التيسير الذي امتّن اللّه به على هذه الأمة في فهم كتابه والادّكار به ، فليس كل مخاطب بهذه الآيات يعلّم ما قل وندر في استعمال العرب ، فضلا عن كون العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لا يعرفون هذا المعنى ، (لأن الله – جل ثناؤه- إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهام معنى ما خاطبهم به).[٤]

قال الإمام الشاطبي[٥] : ( إنما يصح – في مسلك الإفهام والفهم – ما يكون عاما لجميع العرب ، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ والمعاني ، فإن الناس –في الفهم وتأتي التكليف فيه – ليسوا على وزن واحد ولا متقارب ، إلا أنهم يتقاربون في الأمور الجمهورية وما والاها ، .....فيلزم أن ينزل فهم الكتاب والسنة ، بحيث تكون معانيه مشتركة لجميع العرب .. ولذلك أنزل القرآن على سبعة أحرف ، اشتركت فيه اللغات حتى كانت القبائل تفهمه ..... فالحاصل أن الواجب في هذا المقام إجراء الفهم في الشريعة على وزان الإشتراك الجمهوري الذي يسع الأميين كما يسع غيرهم )[٦] .

٢ – ومنها أن الله تعالى أخبر أنه أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال سبحانه :( وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين )[٧] فهو نزل على أفصح اللغات وأكملها وأظهرها وأبينها .

فحمله على خلاف ذلك مخالفة للسانه الذي نزل به ، وخروج به عن حكمة الله تعالى في إنزاله على هذه الفصاحة .

٣- ومنها أن الله تعالى وصف هذا القرآن بالبيان والهدى والرحمة فقال سبحانه :

---

[١] - سورة ص: ٢٩

[٢] - سورة محمد :٢٤.

[٣] - سورة القمر :١٧.

[٤] - جامع البيان :٤٠/١٢

[٥] - هو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ت (٧٩٠) انظر : نيل الابتهاج بهامش الديباج : لابن فرحون : ٤٦/١

[٦] -الموافقات : ٨٥/٢-٨٧.

[٧] - سورة الشعراء :١٩٢-١٩٥.

( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ) [1]
مما يدل على أنّه بين واضح في ألفاظه ومعانيه ، فيه الهدى والرحمة للمسلمين جميعاً فلا يحتاج في إدراك معاينه تكلف وعناء ، ومطاردة شواذ وغرائب المعاني وهذا لا يكون إلا بحمله على أفصح الوجوه وأشهرها ، وأغلبها في استعمال المخاطبين .

وسأضرب مثالا من تفسير الرسول –صلى الله عليه وسلم– لأمور لم تكن معروفة للعرب في ذلك الحين أتى بالفاظ تناسب معانيها تلك المعاني المعروفة عندهم ، ويكون بينهما دور مشترك كقوله تعالى : ( أقم الصلاة )(أقيموا الصلاة)فلم يبين القرآن كيفيتها وأركانها وعدد ركعاتها ، وفسرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بفعله وقال : ( صلوا كما رأيتموني أصلي )[2] ، وبين مقادير الزكاة وأوقاتها وأحكامها بعد أن جاءت مجملة في القرآن ، وبين مناسك الحج وقال :( خذو عني مناسككم )[3] وغير ذلك كثير .

وكذلك فسر بعض الألفاظ المبهمة مثل تفسير ( القوة) من قوله تعالى : ( وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة)[4] بالرمي[5] ، وتفسير المغضوب عليهم بأنهم اليهود ، والضالين هم النصارى[6].

وبالنسبة للأمور التي لم يكن يعرفونها أخذ من اللغة والألفاظ المناسبة مما تدل على القدر المشترك بين الغيب والمشاهد من ذلك أنه أقر فهم أصحابه لمفردات القرآن وظواهره المتعلقة بلغته حسب لغتهم ،فلم يفسرها لهم اعتماداً على فهمهم إياها بفطرتهم العربية ولولم يكن ما اعتمدوه صحيحاً لبين لهم وما حجب عنهم الحق ، ولذلك لم يحتاجوا إلى أن يسألوه عن المعاني التي يفهمونها من اللفظ على وفق لسانهم ، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه ، وعما فيه مما في كلامهم[7] كما فسر– صلى الله عليه وسلم – بعض ألفاظ القرآن ، وغرائبه بما لا يخرج عن الاستعمال العربي ، ودلالات اللسان ، كأن يكون من باب الكناية والاستعارة مثل الخيط الأبيض والخيط الأسود حينما أشكل على عدي بن حاتم – رضي الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان ؟ قال : ( إنّك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ، ثم قال : بل هو سواد الليل وبياض النهار )[8] وتعرض لبيان ما يتوهم في ظاهرة الترادف فأزال الإشكال عن السائل ، فقد روى البراء بن عازب أن أعرابياً جاء إلى النبي– صلى الله عليه وسلم– فقال :(علمني عملا يدخلني الجنة ، قال : لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة ، إعتق النسمة وفك الرقبة ، قال : أو ليسا واحدا ؟ قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها )[9]. فهذه ونحوها أمثلة ضربها لهم ليمثلوا على مثالها ، وقواعد قعدّها لهم ليستنبطوا على أساسها وأبان لهم السبيل ليدرجوا عليه والسير على الأصل سير على هدي من السنة. أما غير ذلك من الأسرار والدقائق القرآنية ، وعلل الأحكام ، وحكمة التشريع ، ووجوه

---

[1] - سورة النحل :٨٩ .
[2] - رواه البخاري في الأذان :١١٧/١ .
[3] - رواه مسلم :١٢٩٧.
[4] - الانفال :٦٠
[5] - رواه مسلم وغيره ، وانظر : الاتقان :٢٢٥/٤.
[6] - الاتقان :٢١٤/٤ ، وقال رواه أحمد والترمذي وحسنه.
[7] - رواه أحمد في مسند ، أنظر:الفتح الرباني : ٦٣/٩ ، ١٩ /٢٤ ، وقال : رجاله ثقاة
[8] - رواه البخاري ومسلم ، صحيح البخاري برقم : ١٨١٧ ، ومسلم : (١٠٩٠).
[9] - مقدمة كتاب المباني :٢٠٥

الإعجاز ومسائله ، ونحو هذا فقد أوكل أمرها إلى تطور حركة العقل الإنساني ، فمن غير الممكن على البشرية أن تفهم كمالات القرآن في كل نواحيه في عصر واحد ، كما لم يبحث لغته ونحوه وصرفه لعدم الحاجة إليه في عصره ، لأنهم يدركونها بملكتهم اللغوية ، وطبيعتهم العربية الفصيحة فتركها لهم ، ولم بعدهم يأخذ منها أهل كل عصر ما تقتضيه حياتهم وينسجم مع حاجاتهم .

فتفسير القرآن يتأثر بالمستوى الحضاري والعقلي الذي وصل إليه المسلمون ، فكل عصر يلتمس فيه ما لم يحض به من سبقه تبعا لتطور الحضارة ونمو الثقافة .

## المطلب الأول: أقوال العلماء بتأييد بحثنا، و ترجيحهم لهذا الأصل

١- منهم الإمام الطبري[١] : قال :( إنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معاينة ، دون الخفي ، حتى تأتي بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفي من معاينه حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول – صلى الله عليه وسلم- أو إجماع من أهل التأويل )[٢]وقال )[٢]وقال في موضع آخر : ( إن الكلام إذا تُنوزع في تأويله ، فحمله على الأغلب والأشهر من معناه أحق و أولى من غيره مالم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها[٣].

و قال – أيضاً- : ( و غير جائز حمل كتاب الله تعالى و وحيه – جل ذكره – على الشواذ من الكلام و له في المفهوم الجاري بين الناس وجه صحيح موجود )[٤] و هذا هو الأساس الذي أعتمد عليه شيخ المفسرين ، و أخذ به في مواضع كثيرة جداً ، و سيأتي الإحالة إلى بعضها في الأمثلة التطبيقية – إن شاء الله – .

٢) و منهم أبو جعفر النحاس[٥] :( قال : والواجب أن يحمل تفسير كتاب الله – عز و جل – على الظاهر و المعروف من المعاني إلا أن يقع دليل على غير ذلك[٦]).

٣) و منهم مكي بن أبي طالب[٧] ففي معرض ردّه على من جعل ( إلا) في قوله تعالى : ( الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلا اللمم[٨] ) بمعنى الواو ، أي و اللمم ، قال : و كون ( إلا ) بمعنى الواو بعيد شاذ ، و لو جعلت ( إلا ) بمعنى لكن لكان أقرب و أجود[٩]

٤) و منهم الزمخشري[١٠] : ففي تفسيره لقوله تعالى : ( و جعلو له من عباده جزءاً )[١١]

قال : ( ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث ، و إدعاء أن الجزء لغة اسم للإناث ، و ما هو إلا كذب على العرب ، ووضع مستحدث منحول )[١٢]

---

[١] - هو محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠هـ) انظر : لسان الميزان : ١٠٠/٥.
[٢] - جامع البيان : ٥٠٩/٧ تحقيق شاكر.
[٣] -المصدر نفسه:٢٢١/٧ .
[٤] - المصدر نفسه :٤٦٨/٢
[٥] - هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المصري المفسر ت ( ٣٣٨هـ ) أنظر سير أعلام النبلاء : ٤٠١/١٥
[٦] - إعراب القرآن : ١٣٢/٥.
[٧] - هو أبو محمد مكي بن أبي طالب الاندلسي القرطبي النحوي المقرئ ت (٤٣٧هـ) أنظر غاية النهاية : ٣٠٩/٢
[٨] - سورة النجم :٣٢
[٩] - بواسطة نقل السيوطي في الأشباه و النظائر في النحو : ٢٨٦/٤.
[١٠] - هو المفسر المشهور أبو القاسم محمود بن عمر الملقب بـ جار الله ت ( ٥٣٨هـ ) أنظر : و فيات الأعيان :٥٢٩/٢.
[١١] - سورة الزخرف :١٥
[١٢] - الكشاف :٤٨١/٣

٥) و منهم القاضي ابن عطية[١] : فقد اعتمد هذا الأصل في معرض ردّه لقول ابن زيد في تفسيره السِّنة في قوله تعالى : ( لا تأخذه سنة ) [٢] قال ابن زيد[٣]: الوسنان الذي يقوم من النوم و هو لا يعقل . قال أبو محمد: و هذا فيه نظر و ليس ذلك بمفهوم من كلام العرب[٤].

٦) و منهم العز بن عبد السلام [٥]: قال – مقرراً مضمون هذا الأصل :- ( و على الجملة فالقاعدة في ذلك أن يحمل القرآن على أصح المعاني ، و أفصح الأقوال ، فلا يحمل على معنى ضعيف ، و لا على لفظ ركيك[٦]).

٧-٢ ) منهم شيخ الإسلام ابن تيمية[٧]: قال رادّاً على من خالف بحمل ألفاظ الكتاب و السنة على على معان حادثة : (الواجب أن يعرف اللغة و العادة و الحرف الذي نزل في القرآن و السنة ، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ ، فبتلك اللغة و العادة و العرف خاطبهم الله و رسوله ، لا بما حدث بعد ذلك٨ )[٩] . و استعمل هذا الأصل في الترجيح و نبّه عليه في مواضع [١٠]

٨-١) و منهم العلاّمة ابن القيم [١١] فقد قرر تقريراً يشفي الغليل قال فيه: ( للقرآن عرف خاص و معان معهوده لا يناسبه تفسيره بغيرها و لا يجوز تفسيره بغير عرفه و المعهود من معانيه فإن نسَبة معانيه إلى المعاني كنسبة على ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم ، فكما أن ألفاظه ملوك و أجلها و أفصحها و لها من الفصاحة أعلى من مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين فكذلك معانيه أجل المعاني و أعظمها و أفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به بل غيرها أعظم منها و أجل و أفخم . فلا يجوز حلمه على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي .فتدبر هذه القاعدة و لتكن منك على بال فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين و زيفها و تقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه[١٢]).

٢- وقال في موضع آخر في معرض ذكره لأنواع التأويل الباطل قال :( ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب ، و إن ألف في اصطلاحات الحادث ، و هذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس ، وضلّت فيه أفهامهم ، حيث تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لو يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة ، و إن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين، و هذا مما ينبغي التنبه له فإنه حصل بسببه من الكذب على الله و رسوله ما حصل)[١٣].

---

[١] - هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب ، مفسر مشهور ، ت(٥٤١هـ ) أنظر : نفح الطيب : ٥٩٣/١.
[٢] - سورة البقرة :٢٥٥
[٣] - هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني ، من أتباع التابعين له تفسير ت( ١٨٢هـ ) أنظر سير أعلام النبلاء النبلاء :٣٤٩/٨
[٤] - أنظر : المحرر الوجيز :٢٧٥/٢
[٥] - هو عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام ت ( ٦٦٠هـ) انظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٨٣/٥
[٦] -الإشارة إلى الإيجاز:٢٢٠.
[٧] - هو أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي ت (٧٢٨هـ ) أنظر : البداية و النهاية ١٤١/١٤
[٨] - الإيمان :١٠١.
[٩] - الإيمان :١٠١.
[١٠] - أنظر : درء تعارض العقل و النقل : ٣١٦/١.
[١١] - هو محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم ت( ٧٥١هـ) أنظر : شذرات الذهب : ١٨٦/٦.
[١٢] - بدائع الفوائد : ٢٧/٣-٢٨ .
[١٣] -الصواعق المرسلة :١٨٩/١.

٣- و طبق هذا الأمر في تحقيقه و ترجيحه لبعض الأقوال في التفسير [١]

٤- ٩) و منهم الإمام الشاطبي : قال : إنه لا بد في فهم الشريعة من أتباع معهود الأميين- و هم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم – فإن كان العرب في لسانهم عرف مستمر ، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة ، و إن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه.

٥- و هذا جار في المعاني و الألفاظ و الأساليب ... و إذا كان بذلك فلا يستقيم للمتكلم في كتاب الله أو سنة رسول الله أن يتكلف فيهما فوق ما يسعه لسان العرب [٢]

٦- ١٠) و منهم العلامة ابن الوزير : ففي معرض بيانه للتفسير باللغة قال : ( و ينبغي التنبيه في النوع لتقديم المعروف المشهور على الشاذ)[٣] و غيرهم هؤلاء كثير تركت أقوالهم خوف الإطالة[٤]

## المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية

أن هذا الأصل يعمل في التفاسير الآتية و ما شابهها :

أولاً/ تأويلات أهل الكلام و الفلسفة .

ثانياً / التفسير الباطني .

ثالثاً / تأويلات دعاة التجديد العصري .

رابعاً / بعض أقوال المفسرين التي ليست مما سبق و خالفت أصل البحث .

### أولا / تأويلات أهل الكلام و الفلسفة :

إن من أهم الأسباب التي دفعت بعض المفسرين للعدول في تفسير القرآن عن الفصيح إلى الركيك أو إلى مالا يعرف من لسان العرب الذي نزل به القرآن هي تلك المذاهب التي اعتقدوها فأرادوا تصحيح مذاهبهم بحمل الايات عليها ، (فإذا حمل حامل آية من كتاب الله ، أو لفظاً من ألفاظ رسول الله على أمثال هذه المحامل ، وأزال الظاهر الممكن إجراءه لمذهب اعتقده ، فهذا لا يقبل)[٥] ويرد على قائله:

فمن أمثلة هذا تفسير طائفة من الجهمية[٦] و المعتزلة[٧] (الأفول ) في قول الله تعالى :( فلما أفل قال لا لا أحب الأفلين )[١] بالحركة و الانتقال[٢]. و قد تولى شيخ الإسلام ابن تيمية – و غيره – الرد عليهم

---

[١] -أنظر على سبيل المثال : بدائع الفوائد ( ٢٧/٣ ،٢٨،٣٠)

[٢] -أنظر : الموافقات : ٨٢/٢-٨٥.

[٣] - إيثار الحق : ١٥٤ .

[٤] - أنظر بعضها في البرهان للجويني : ٣٥٦/١-٣٥٨ ، البرهان للزركشي : ١٦٠/٢ ، الأشباه و النظائر في النحو : ٢٢٦/١ ، روح المعاني :٣٤٣/١ أضواء البيان : ٦٠/٣-٦١ ، بدع التفاسير : ١٢.

[٥] - البرهان للجو يني: ٣٥٦/١.

[٦] - الجهمية / فرقة من الجبرية التي تزعم أن إرادة الإنسان عاجزة عن توجيه مجرى الحوادث و هم يؤولون الآيات القرآنية الواردة في الإرادة و المشيئة وفق ما يزعمون أنظر : الملل و النحل :١١٢/١.

[٧] - المعتزلة / تبنت الفكر الاعتزالي الذي خرج من مدرسة الإمام الحسن البصري ت( ١١٠هـ) حيث لم يقبل تلميذه واصل بن عطاء ت ( ١٣١هـ)بقول االخوارج في مرتكب الكبيرة بأنه كافر ، و لا يقول الحسن بأنه منافق و إنما أوجدوا و صفا جديدا له بأنه فاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن و لا كافر ، ثم قام واصل واستمر و

عليهم في هذا من عدة وجوه، أحدها مضمون أصل بحثنا ،فقال : ( أن هذا القول الذي قالوه لم يقله أحد من علماء السلف من أهل التفسير ، و لا من أهل اللغة ، بل هو من التفسيرات المبتدعة في الإسلام ... و من المعلوم بالضرورة من لغة العرب أنهم لا يسمون كل مخلوق آفلا ،ولأكل موجود بغيره آفلا، و لا كل موجود يحب وجوده بغيره لا بنفسه آفلا ، و لا ما كان من هذه المعاني التي يعنيها هؤلاء بلفظ الإمكان ، بل هذا أعظم افتراء على القرآن و اللغة من تسمية كل متحرك آفلاولو كان الخليل أراد بقوله :( لا أحب الأفلين ) هذا المعنى ، لم ينتظر مغيب الكوكب و الشمس و القمر )[3].

و قال العلامة ابن القيم :و لا يعرف في اللغة التي ينزل بها القرآن أن الأفول هو الحركة البتة في موضع واحد[4]. ومن ذلك قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في تفسير قول الله تعالى : ( ثم استوى على العرش يدبرالأمر مامن شفيع إلامن بعد إذنه )[5]

قال: المراد بالإستواء هو الاستيلاء و الإقتدار .... و بيّنا أن القول إذا احتمل هذا و الاستواء الذي هو بمعنى الانتصاب ، و جب حمله عليه ، لأنٍ العقل قد اقتضاه ، من حيث دل على أنه تعالى قديم ،ولو كان جسما يجوز عليه الأماكن لكان محدثاً ، تعالى الله عن ذلك ، لأن الأجسام لا بد من أن يلزمها دلالة الحدث ، و هي أيضا لا تنفك من الحوادث و لا تخلو منها[6]

و ذهب إلى تأويل صفة الاستواء بالإستيلاء ، أو الملك و السلطان، أو نحوها كثير من المتأخرين من أهل التفسير كالرازي[7] و أبي السّعود[8] و غيرهما.

فخالفوا بذلك فهم العلماء لنصوص القرآن والسنة في باب الصفات ، و منها الاستواء ، فإن الصحابة و التابعين لهم بإحسان كان الاثبات منهجهم ، و عدم التقدم بين يدي الله و رسوله طريقتهم ، فهم يثبتون ما أثبته الله و رسوله – صلى الله عليه و سلم – من غير تحريف[9] و لا تكييف[10] و لا تمثيل[11] ، و ينفون عن الله تعالى ما نفاه عنه و عن رسوله ، مستندين في كل إلى دلائل الكتاب و السنة ، و أجمعوا على ذلك ، مع تأييد العقل و الفطرة له .

فعن ابن مسعود (٣٢هـ) –رضي الله عنه – قال ما بين سماء القصوى و بين الكرسي خمسمائة سنة، و ما بين الكرسي و الماء خمسمائة سنة ، و العرش فوق الماء ، و الله فوق العرش لا يخفى

---

اعتزل إلى إحدى نواحي المسجد، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو و أصحابه معتزلة . أنظر : الملل و النحل : ٦٠/١.

[1] - سورة الأنعام :٦.

[2] -أنظر الكشاف: ٣١/٢، و درء تعارض العقل : ٣١٠/١، الصواعق المرسلة ١٩٠/١.

[3] -درء تعارض العقل و النقل : ٣١٤/١-٣١٥

[4] - الصواعق المرسلة : ١٩٠/١

[5] -سورة يونس : ٣

[6] - متشابه القرآن :٣٥١/١.

[7] - أنظر : مفاتيح الغيب : (١٠٦/١٤) ، (٥/٢٢) و ما بعدها .

[8] - أنظر : إرشاد العقل السليم : (٢٣٢/٣) ، (٥/٦).

[9] - التحريف : هو التغيير و التبديل و تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها ، أنظر : الأسئلة و الأجوبة :٣٩-٤٠.

[10] - التكييف : هو تعيين الكنه والكيفية، أنظر : الأسئلة و الأجوبة :٤٠.

[10]- التمثيل : هو التشبيه اما تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه النصارى واليهود ، واما تشبيه المشبة الذين يشبهون الله بخلقه وعليه . أنظر: الأسئلة والأجوبة : ٤٠-٤١.

عليه شئ من أعماله بني آدم[1]، و عن ابن عباس (٦٨هـ ) –رضي الله عنه– قال : إن الله كان عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فخلق الخلق ، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[2]. و عن ام سلمة –رضي الله عنها – قالت في قوله تعالى : ( الرحمن على العرش استوى)[3] الكيف غير معقول ، و الاستواء غير غير مجهول و الإقرار به إيمان ، و الجحود به كفر[4] ، و بنحوه جاء قول الإمام مالك المشهور : الاستواء معلوم و الكيف مجهول و السؤال عنه بدعة[5].

و قال الأوزاعي [6] : كناوالتابعون متوافرون نقول : أن الله تعالى ذكره فوق عرشه نؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل و علا[7] .

و قال إسحاق بن راهويه[8] : إجماع أهل العلم على أنه تعالى على العرش استوى ، و يعلم كل شئ في أسفل الأرض السابعة[9].

والآثار عن الصحابة و التابعين و تابعيهم بإحسان في إثبات صفة الاستواء كثيرة جداً لا تحص الا بكلفة بالغة[10]. و هم مجمعون على ذلك ، و كل من صنّف في العقائد من المتقدمين نقل عن السلف مذهبهم في إثبات الصفات – ومنها الاستواء– لله عز وجل ، و لم ينقل حرف واحد عن الصحابة و أئمة الإسلام أنهم ذهبوا إلى التأويل ، أو التحريف ، أو التشبيه ، بل مذهبهم الإثبات بلا كيف ، و بلا تمثيل ، و بلا تحريف ، و لم ينقل عنهم أنهم اختلفوا في تفسير آية من آيات الصفات ، بعضهم يثبتها و بعضهم ينفيها ، لم ينقل عنهم مثل هذا البتة[11].

هذا ما أثبته مفسرو أهل السنة من المتقدمين و المتأخرين كالطبري[12] ،و البغوي[13]، و ابن كثير[14]، و الشنقيطي[15] و غيرهم.

قال شيخ الإسلام : و قد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، و ما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف[16].

و كفى بمخالفة الصحابة و التابعين لهم بإحسان دليلاً على بطلان قول مخالفيهم.

---

[1] - رواه البيهقي في الأسماء و الصفات :١٤٥/٢.
[2] - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٣٩٦/٣..
[3] - سورة طه :٥
[4] - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٣٩٦/٣
[5] - أنظر: روح المعاني :٨٧/٣-٨٨
[6] - هو عبد الرحمن بن عمرو، شيخ الاسلام عالم أهل الشام ت (١٥٧هـ) . أنظر سير أعلام النبلاء:١٠٧/٧
[7] - انظر:البيهقي في الأسماء و الصفات: ١٥٠/٢.
[8] - هو إسحاق بن راهويه ، أبو يعقوب ، الإمام الكبير سيد الحفاظ ، إماما في التفسير ، أنظر : سير أعلام النبلاء :٣٥٨/١١.
[9] - ذكره الذهبي في سير اعلام النبلاء : ٣٧٠/١١.
[10] -جمع ابن القيم في كتابه إجتماع الجيوش : ١١٨وما بعدها جملة وافرة منها .
[11] - انظر: مجموع الفتاوى : ٣٩٤/٦.
[12] - جامع البيان : ١٩١/١-١٩٢.
[13] -معالم التنزيل : ٢٣٥/٣.
[14] -تفسير القرآن العظيم : ٤٢٢/٣.
[15] - أضواء البيان : ٣٠٤/٢.
[16] -مجموع الفتاوى : ٣٤٩/٦.

**ثانياً: التفسير الباطني:** بحثنا هذا يرد كل تأويلات الباطنية ، و إشارات الصوفية، فكل ذلك تفسير بما لا تعرف العرب من لسانها ، فضلاً عن أن يكون مستعملا على سبيل القلة أو الندرة . فإذا كان يجب حمل القرآن على الأكثر استعمالاً ، و الابتعاد به عن الأقل والنادر و الشاذ و نحوها ، فما بالك بما لا يعرف من لغتها وقت التنزيل المطلق ؟! فرّده كما سبق و أن بينا أنه يجب حمل النص القرآني على المعروف من كلام العرب دون غيره أولى و أحرى.

و سوف أكتفي بذكر بعض الأمثلة من تفسير القرآن العظيم لسهل التستري مع ذكر ردّ الإمام الشاطبي لهما و غيرهما من كتب التفسير بما يعزز بحثنا .

المثال الأول : قال سهل التستري[1] في قول الله تعالى: ( إن أوّل بيت وضع للنّاس للذي ببكة مباركاً )[2] : باطنها الرسول ، ويؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد من النّاس[3].

قال الإمام الشاطبي : ( و هذا التفسير يحتاج إلى بيان، فإن هذا المعنى لا تعرفه العرب ، و لا فيه من جهتها وضع مجازي مناسب و لا يلائمه مساق بحال )[4]

المثال الثاني : قال التستري في قول الله تعالى: ( و الجار ذي القربى و الجار الجنب و الصاحب بالجنب و ابن السبيل )[5] ( أما باطنها فالجار ذو القربى هو : القلب ، و الجار الجنب : هو الطبيعة الطبيعة ، و الصاحب بالجنب هو: العقل المقتدي بالشريعة ، و ابن السبيل هو: الجوارح المطيعة لله )[6]

قال الأمام الشاطبي – بعد أن ذكر معنى الآية –: و غير ذلك لا تعرفه العرب ، لا من آمن و لا من كفر ..... إلى أن قال بعد أن ساق بعض تفاسير الصوفية للآية : و هذا كله خارج عما تفهمه العرب و دعوى ما لا دليل عليه في مراد الله[7]

المثال الثالث : و منها قول مفسرهم[8] عند قوله تعالى : (و التين والزيتون ،وطور سينين و هذا البلد البلد الأمين )[9] قال : ( و التين ) رسول الله – صلى الله عليه و سلم– و ( الزيتون) أمير المؤمنين– عليه السلام – و ( طور سينين ) الحسن و الحسين ، و ( هذا البلد الأمين ) الأئمة – عليهم السلام– [10]

المثال الرابع: و منها عند تفسير قوله تعالى : (خذوا زينتكم عن كل مسجد )[11] قال: الغسل عند لقاء كل إمام[12] ومن تأويلات محي الدين بن عربي[13] ما جاء في قوله تعالى في قول هارون لموسى

---

[1] - هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد الصوفي الزاهد ت ( ٢٨٣هـ) أنظر : سير أعلام النبلاء ٣٣٠/١٣.

[2] -سورة آل عمران : ٩٦.

[3] تفسير القرآن العظيم له :٢٧.

[4] - الموافقات : ٤٠١/٣.

[5] - سورة النساء : ٣٦.

[6] -تفسير القرآن العظيم له :٣٠.

[7] -أنظر : الموافقات : ٤٠٢/٣-٤٠٣.

[8] -لعبد على بن جمعه الحويزي

[9] -سورة التين : ١-٣

[10] - تفسير نور الثقلين :٦٠٦/٥.

[11] - سورة الأعراف:٣١.

[12] -تفسير الميزان :٩٥/٨.

[13] - هو محي الدين أبو بكر محمد بن علي الحاتمي الطائي الاندلسي ويلقبه بعضهم بالشيخ الأكبر ، تعلم في بلاد الاندلس ، ثم انتقل إلى بلاد الروم والعراق ومصر ، ثم استقربه المقام في دمشق ت (

عليهما السلام حينما عبد قوم موسى العجل : (يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي )[1] فيقول : ( فكأن عدم قوة إرداع هارون الفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه ، حكمة من الله تعالى ظاهرة في الوجود ، ليعبد في كل صورة )[2].

وفي قوله تعالى في قول فرعون لموسى عليه السلام :(إن رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون[3] ) يتأولها خدمة لمذهبه فيقول : ( أي مستور عنه ما سألته عنه ) وهو قوله لموسى : ( وما رب العالمين )[4] ( فإن فرعون أراد اختبار موسى ليعرف رتبته في العلم الإلهي ، فكان جواب موسى ( رب المشرق والمغرب )[5] أي الذي يظهر فيه صور العالمين من علو وهو السماء ، وسفل وهو الارض فالجواب كان جواب الموقفين ، وهم أهل الكشف والشهود)[6] .

وما قاله في قوله تعالى : ( وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة )[7] (زوجته هي النفس ، وسميت حواء لملازمتها الجسم الظلماني ،.... كما أن القلب سمي آدم لتعلقه بالجسم دون الملازمة بالطباع ، والجنة المأمور بملازمتهما إياها هي سماح الروح التي هي روضة القدس.....)[8]. وكتبهم مليئة بمثل هذه الخرافات و البهتان على كتاب الله[9] فما علاقة هذه الألفاظ بتلك المعاني المدّعاة ؟! منكر من القول وزورا.

و الخلاصة فإن هذه التأويلات التعسفية ، والمعاني الباطلة التحريفية هي مؤسسة على مفاهيم ذاتية ، ينطلق منها المتأول ليقيم لفكره المتعارض مع ظواهر النصوص سياجا وقائياً أو دعائياً تحت ذريعة فيض الوجدان و الكشف عن الحقائق و الاتصال، فهي تصورات ذاتية ، و ليست موضوعية و لا عامة هذا من جهة و من جهة أخرى إن كل اتجاه منهم كان يُضغط الآيات بصور شتى تتناسب مع اعتقاده و أصول مذهبه ، غير مبالين إن وافق أصول الشرع أم خالفها . كما أن تأويلاتهم موظفة لدعم فكرة اعتقدوها أولاً ثم أسقطوها على آيات القران الكريم ، فكانت تأويلاته تدور في فلكها .

## ثالثا : تأويلات دعاة التجديد العصري :

حاولت مدرسة التجديد التوفيق بين العلوم العصرية ونصوص القرآن الكريم ،وإن كلفهم ذلك تحميل الآيات مالا تحتمل ،أو حمل القرآن على مالا يعرف في لسان العرب الذي نزل القرآن به

---

٦٣٨هـ). وله مؤلفات قد منها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم وعنقاء مغرب وغيرها . أنظر شذرات الذهب : ١٩٠/٥-٢٠٢.

[1] - سورة طه:٩٤
[2] - فصوص الحكم:١٩٤
[3] - سورة الشعراء:٢٧
[4] - سورة الشعراء :٢٣
[5] - سورة الشعراء : ٢٨
[6] - فصوص الحكم :٢٠٧-٢٠٨ ، وينظر : الفتوحات المكية ٦٠/١-٦١.
[7] - البقرة :٣٥
[8] - تفسير القرآن المنسوب لأبن عربي : القاشاني :١٩٥/٢.
[9] -كتفسير مرآة الأنوار و مشكاة الأسرار للكازراتي، و تفسير فرات الكوفي ، و غيره . و قد نقل بعض أهل السنة بعض أقوالهم وردّوها عليهم ، أنظر: الموافقات: ٣٩٤/٣، المحرر الوجيز : ١٨٤/١٠، ٢٠٨، و غيرهما كثير .

،أو حمل القرآن على معان ونظريات علمية ، بغض النظر عن كون هذه المعاني تحتملها الألفاظ أولا ؟ وتعرفها العرب من لسانها أولا ؟

ومن ذلك تجوز محمد عبده وإتباعه تأويل ( الطير الأبابيل ) التي رمت أصحاب الفيل . بحجارة من سجيل– كما في سوره الفيل – بأن تكون من جنس الذباب أو البعوض أو الميكروبات .

والحجارة : هي الجراثيم التي تنقل الأمراض الفتاكة.

قال محمد عبده :( فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض،وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسوم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد داخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه وأن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ،وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها ،وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها)[1].

فهل تعرف العرب من لسانها . وقت نزول القران بالأخبار عن هذه الحادثة – هذه المكروبات والجراثيم – التي اكتشفها العلم الحديث – فيفسر القرآن بها ويحمل عليها ؟!

قال د. محمد حسين الذهبي بعد أن ساق كلام محمد عبده المذكور آنفا:( وهذا ما لا نقره عليه ، لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القران .والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لانصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال ، وقد جاء القران بلغة العرب وخاطبهم بما يعهدون ويألفون)[2].

وقال الشيخ محمد الصادق عرجون ( وهل في عرف اللغة العربية واستعمالاتها إطلاق لفظ ( الطير ) على الحيوان المسمى بالمكروب ، فهل كان القوم المخاطبون في وقت المواجهة بالخطاب التعجيبي الذي افتتحت به السورة يعلمون شيئا عن هذا الحيوان المسمى ( بالمكروب ) .....أليس هذا تحميلا لآيات القرآن فوق طاقه أساليب العربية وفوق طاقة أفهام من نزل القرآن لتعجيبهم من شأن هذه الحادثة المبدعة إرهاصا لمقدم بعثه خاتم النبيين محمد – صلى الله عليه وسلم– .....وهذا ضرب من التعسف في التأويل المتملق لنظريات العلم المستحدثة وهو مذهب لكثير من المجددين في تفسير القرآن )[3]

وقال :د . فهد الرومي :( بل إن الآية صرحت بإرسال الطير وأرسل عليهم طيرا أبابيل وبين المخاطبين كثير ممكن عاصر الحادث بل ممن شاهده وفيهم كثير من أعداء الرسول– صلى الله عليه وسلم –فالسورة مكية ولو أنهم لم يروا هذا الطير الأبابيل رأي العين لبادروا إلى تكذيب القرآن وإنكارهم لرمي الطير لجيش ابرهة ولا يقبل أن يقال أنهم رأوا المكروب أو لجراثيم لأتهم لا يستطيعون رؤيتها ولا يقال أنهم رأوا الذباب أو البعوض لأنهم لا يرون الحجارة التي تحملها فكان لابد أن يكونوا رأوا طيرا رأوا الحجارة التي تحملها ورأوا الرمي ولا يهم بعد ذلك أن يكون هلاك الجيش بمجرد وقوع الحجر أو أن تكون هذه الحجارة قد أصابته بمرض من الأمراض ، فالقران لم يصرح بذلك ،بل ذكر هلاكهم بهذا العقاب الشديد[4] ).

---

[1] - تفسير جزء عم له : ١٥٦ ، وكذا قال المراغى فى تفسيره : ٣٠ /٢٣٤ ، ومحمد فريد وجدى فى المصحف المفسر :٨٢٢

[2] - التفسير والمفسرون : ٥٦٩/٢ .

[3] - نحو منهج التفسير القرآن : ٣٤-٣٦

[4] - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :٧٢٦/٢

ومن أمثلة ذلك ما قاله صاحب ( الهداية والفرقان في تفسير القرآن بالقرآن )[1] عند تفسير قوله تعالى : ( وسخرنا مع داود الجبال يسحبن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون )[2].

( يسجن ) يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية ، و( الطير) يطلق على ذي الجناح ، وكل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية ، والطيارات الهوائية (( تجري بأمره )) الآن تجري بأمر الدول الأوروبية وإشاراتها في التلغرافات ، والتليفونات الهوائية[3].

قال الدكتور محمد حسين الذهبي – بعد أن نقل القول السابق :- ( وهذا بلا شك خروج صريح عن مداولات النصوص القرآنية ، وإلحاد في آيات الله سبحانه[4]).

## رابعاً :- بعض أقوال المفسرين التي ليست مما سبق وخالفت عنوان البحث .

الأصل في هذا النوع أن يكون حمل كلام الله سبحانه وتعالى على المعروف من كلام العرب دون غيره من الضعيف أو النادر أو قليل الاستعمال في لغة العرب.

ومن أمثلة هذا النوع كثيرة جداً :-

١- منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : ( تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب )[5].

اختلف المفسرون في المراد قوله :( وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ) فقال بعضهم : أنه يخرج الحي من النطفة الميتة ، ويخرج النطفة الميتة من الحي .

وقال آخرون : أنه يخرج النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والسنبلة من الحب ، والحب من السنبلة ، والبيض من الدجاج ، والدجاج من البيض .

وقال آخرون وإنه يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن .

قال الطبري بعد أن ذكر هذه الأقوال ، ورواها عن قائليها :- ( وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال : يخرج الإنسان الحيّ والإنعام والبهائم الأحياء من النطف الميتة وذلك إخراج الحي من الميت من الحي ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء ، وذلك إخراج الميت من الحي ، وذلك أن كل حي فارقه شي من جسده فذلك الذي فارقه منه ميت فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه ، ثم ينشى الله منها إنسانا حيا ، وبهائم وأنعاما إحياء ، وكذلك حكم كل شي حي زايله شي منه ، فالذي زايله منه ميت ، وذلك هو نظير قوله تعالى : ( كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحييكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ) .[6]

أما تأويل من تأوّله بمعنى الحبة من السنبلة ، والسنبلة من الحبة ، والبيضة من الدجاجة ، والدجاجة من البيضة ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المومن ، فإن ذلك وإن كان له وجه مفهوم ،

---

[1] - الهالك محمد أبو زيد ، انظر منهج هذا الرجل في تفسيره في التفسير والمفسرون : (٥٣٢/٢).
[2] - سورة الأنبياء : ٧٩-٨١.
[3] - الهداية والفرقان :٢٥٧.
[4] - الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم:١٠٦.
[5] سورة آل عمران :٢٧.
[6] - سورة البقرة :٢٨ .

فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام ، وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس ، أولى من توجيهها إلى الخفي القليل في الاستعمال ).[1]

٢- ومن أمثلة هذا النوع – أيضا – ما جاء في تفسيره قوله تعالى: ( حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ).

اختلف المفسرون في معنى ( وفار التنور )[2].

فقال بعضهم : انبجس الماء من وجه الأرض ، وفار التنور ، وهو وجه الأرض .

وقال آخرون : هو تنوير الصبح من قولهم : نّور الصبح تنويرا .

وقال آخرون : معنى ذلك وفار التنور على الأرض وأشرف مكانٍ فيها بالماء وقال التنور : أشرف الأرض .

وقال آخرون : هو التنور الذي يختبر فيه .

قال الإمام الطبري – بعد أن ساق هذه الأقوال مسندة إلى من قال بها :-

( وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله : ( التنور) قول من قال : هو التنور الذي يخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجة على شي منه بخلاف ذلك ، فيسلم لها ، وذلك أنه – جل ثناؤه – إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به )[3].

ويندرج تحت هذا الكلام ، بعض القواعد الأصولية في التفسير ، اذكرها باختصار :

إذا دار الكلام بين الإضمار والزيادة ، فالإضمار أولى وصورتها : إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى ، فمنهم من يقول بالإضمار في الآية ، ومنهم من يقول بالزيادة فيها ، والكلام محتمل لذلك فقول القائل بالإضمار أولى ، لأنه في كلام العرب أكثر من الزيادة [4].

إذا دار الأمر بين الاشتراك والمجاز ، قدم المجاز وصورتها : إذا وقع التعارض بين الاشتراك والمجاز فالمجاز أولى ، لأنه أكثر استعمالا من المشترك بالاستقراء – عند القائلين به – ،والحمل على الأكثر أولى )[5].

إذا دار الأمر بين المجاز والإضمار ، قدم المجاز . وسبب تقديمه أنه أكثر في اللسان ، والإضمار أقل منه ، والكثرة تدل على الرجحان .[6]

٤- إذا دار بين الاختلاف والتقدير كان التقدير أولى، وصورتها : إذا دار الأمر بين اختلاف الجمل في العطف ، بأن تعطف جملة اسمية على فعلية ، وفعل ، بحيث تعطف جملة فعلية على

---

[1]- جامع البيان :٢٢٦/٣

[2]- سورة هود :٤٠

[3]- جامع البيان :٤٠/١٢

ومن نظائر هذين المثالين كثيرة جدا : انظر بعضها في جامع البيان : ( ١٧٢/١) و(١٤/٢ ،٤٦٨) و(٢٧٧) ، (٤٢/٤ )و( ٢٢١/٧) ..... وأحكام القرآن لابن العربي : (١/ ٨٢) ،(٤١٤/٤). والمحرر الوجيز : (٩٦/١، ٢٠٦ ، ٢٨٨).

[4]- ذكر هذه القاعدة بعض الأصوليين ، انظر التمهيد للأسنوي :٢٠٦ ، وشرح الكوكب ١٩٦/١ ، وانظر اعتمادها في الترجيح في معاني القرآن للاخفش / ٤٩٧/٢، جامع البيان :٢٤ /٣٦ ، والتفسير القيم : ٤٢٤-٤٢٥.

[5]- البحر المحيط للزركشي : ٢٤٤/٢.

[6] انظر : شرح تنقيح الفصول : ١٢١ -١٢٢ -١٢٤ ، والبحر المحيط : ٢٤٥/٢.

جملة فعلية ، فالتقدير أولى ، وذلك لكثرة التقدير في كلام العرب ، وقلة الاختلاف في تعاطف الجمل ، والحمل على الأكثر أولى [1].

## فهرست المصادر والمراجع


١- الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن ، لمحمد حسين الذهبى ، دار الإعتصام ، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث – القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ .

٣- إجتماع الجيوش الإسلامية ، للإمام ابن القيم الجوزية ، تحقيق : عواد عبد الله المعتق ، دار المعذر –الرياض ،١٤٠٨هـ

٤- أحكام القرآن ،لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ،تحقيق :محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية _بيروت ط١، ١٤٠٨هـ

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي.

٦- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية : عبد العزيز محمد السلمان ، مطبعة الشعاع ، السعودية ، ط١٢ ،١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

٧- الأسماء والصفات : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق :عماد الدين أحمد حيدر ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٨- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : للعز بن عبد السلام ، تحقيق : رمزي دمشقية ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٩- الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ،عالم الكتب – بيروت.

١١-إعراب القران لأبى جعفر أحمد بن محمد النحاس ،تحقيق: زهير زاهد ،عالم الكتب ط١،١٤٠٥هـ

١٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،لجمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصارى ، ومعه كتاب(عدة السالك إلى توضيح أوضح المسالك) ،لمحمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية- بيروت.


[1]- انظر الاشباه والنظائر في النحو : ٢٢٨/١ ، أوضح المسالك : ١٦٨/٢ ، معترك الأقران :٤٩٧/٣.

١٣- إثيار الحق على الخلق في رد الخلاف إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ،لمحمد بن المرتضى اليماني المشهر بابن الوزير ،دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢، ١٤٠٧ هـ.
١٤-الإيمان : لشيخ الإسلام ابن تيميه ، أشرف على طبعه : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامى – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ.
١٥ -البحر المحيط في أصول الفقه ، لبدر الدين الزركشي ، تحقيق :عبد القادر عبد الله العانى وآخرون ،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – الكويت ، ١٤١٢هـ.
١٦- بدائع الفوائد ،لابن القيم الجوزية ،دار الكتاب العربى – بيروت .
١٧- البداية والنهاية ،للحفاظ ابن كثير ،تحقيق : أحمد أبو ملحم وآخرون ،دار ام القرى القاهرة –ط١ ١٤٠٨هـ .
١٨- بدع التفاسير ،عبد الله محمد الصديق الغماري ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٥هـ
١٩- البرهان في أصول الفقه ،الإمام الحرمين أبو المعالي الجوينى ،تحقيق :عبد العظيم محمود الديب ،دار الوفاء ، ط٣ ، ١٤١٢هـ.
٢٠- البرهان فى علوم القران : لبدر الدين الزركشى ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعرفة ،بيروت ،ط٢، ١٣٩١هـ.
٢١- التعريفات : للسيد الشريف الجرجانى ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب – بيروت، ط١ ، ١٤٠٧هـ.
٢٢- تفسير القران ( المنسوب لابن عربى ) : عبد الرزاق القاشاني ، القاهرة ، الميمنية .
٢٣- تفسير القران العظيم ،للحافظ اسماعيل ابن كثير ،تحقيق : عبد العزيز غنيم وآخرون ، دار الشعب – القاهرة.
٢٤- تفسير القرآن العظيم ،لسهل التسترى ،دار الكتب العربية الكبرى – مصر .
٢٥- التفسير القيم ،للعلامة ابن القيم ، جمعه : محمد أويس القرنى الندوي حققه : محمد حامد الفقى ،دار العلوم الحديثة – بيروت .
٢٦- تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي ،دار الفكر ، ط٣، ١٣٩٤هـ
٢٧- تفسير جزء عم – لمحمد عبده خير الله ،مكتبة محمد علي صبيح – القاهرة ، ١٣٨٧ هـ
٢٨- تفسير فرات الكوفي ، لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى ، تحقيق: محمد الكاظم ، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر ،بيروت ، ١٤١٢هـ.
٢٩- تفسير نور الثقلين ،لعبد علي بن جمعه الحويزي ، صحة هاشم الرسولي المحلاتي ، المطبعة العلمية – بقم .
٣٠-التفسير والمفسرون : لمحمد حسن الذهبي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٣٩٦هـ .
٣١-التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، لأبي محمد جمال الدين الأسنوي ، تحقيق : محمد حسن هيتو ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٤ هـ .
٣٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود شاكر ، دار المعارف ،مصر ،ط٢.
*جامع البيان عن تأويل أي القران ، لمحمد بن جرير الطبرى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ.
٣٣- الخصائص : لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق: محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي – بيروت

٣٤- درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ .
٣٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي، تحقيق : محمد الأحمدي أبوالنور ، دار التراث – القاهرة .
٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود شكري الآلوسي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
٣٧- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، حققه جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ .
٣٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ .
٣٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لهبة الله بن الحسن اللالكائي ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ، دار طيبة للنشر – الرياض .
٤٠- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ،لشهاب الدين أحمد بن أدريس القرافي ، حققه : طه عبد الرزاق سعيد ، دار الفكر –بيروت ، ط١ ، ١٣٩٣ هـ
٤١- شرح الكوكب المنير ، لمحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار ، تحقيق : محمد الزحيلى ونزيه حماد ، جامعة أم القرى ،ط١ ، ١٤٠٠ هـ.
٤٢- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي – المكتب الإسلامي – تركيا ، ط١ ، ١٣٧٤هـ .
٤٣- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية ، تحقيق : علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ
٤٤- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين عبد الوهاب السبكى ، القاهرة ،١٣٢٤ هـ .
٤٥- غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين محمد ابن الجزري ، نشره :ج. براجشراسر، ط١ ، مكتبة الخانجى ، مصر ، ١٣٥١هـ -١٩٣٢ م.
٤٦-فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الفكر – (د ت) .
٤٧- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد عبد الرحمن البنا ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .
٤٨- الفتوحات المكية : لابن عربي ، دار صادر – بيروت .
٤٩- فصوص الحكم : لابن عربي : تحقيق : أبو العلا عفيفي ، دار لبنان – بيروت .
٥٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري، مطبعة البابي الحلبى – مصر ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢ هـ .
٥١- الكليات معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية، لأبى البقاء أيوب الكفوي،قابله :عدنان درويش، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ ،
٥٢- لسان الميزان ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، ط٢ ، ١٣٩٠ هـ
٥٣- متشابه القران ، القاضي عبد الجبار أحمد الهمداني ، تحقيق : عدنان زرزور ، دار التراث ، ١٤١٥ هـ.

٥٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم .الطبعة المصرية
٥٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبى محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ، ط١.
٥٦- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لجلال الدين السيوطي ، صححه : محمد بك وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث – القاهرة ، ط٣ .
٥٧- المصحف المفسر ، لمحمد فريد وجدي ، طبعة دار الشعب – القاهرة .
٥٨- معالم التنزيل : الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة- الرياض ،١٤٠٩هـ .
٥٩- معاني القرآن ، لأبي الحسن بن سعيد بن مسعدة الأخفش ، تحقيق : هدى محمود قراعه ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط١ ، ١٤١١هـ .
٦٠- معترك الأقران في إعجاز القران : لجلال الدين السيوطي ، صححه : أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٨هـ.
٦١- مفاتيح الغيب ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ، لمحمد بن عمر الرازي فخر الدين ، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٠هـ .
٦٢- مقدمة كتاب المبانى : لأبى محمد حامد بن أحمد بن جعفر بسطام ، كما رجحه أستاذنا د غانم قدوري ، نشر آثر جفري ، مصر ١٩٥٤ هـ .
٦٣- الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : أمير علي مهنا ، وعلي حسن فاعور ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٣هـ .
٦٤- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، لفهد بن عبد الرحمن الرومي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ .
٦٥- الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي ، تعليق : عبد الله دراز ، دار المعرفة – بيروت .
٦٦- الميزان في تفسير القرآن ، لمحمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٤هـ .
٦٧- نحو منهج لتفسير القرآن ، لمحمد الصادق عرجون ، طبعة الدار السعودية للنشر والتوزيع .
٦٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المغربي ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
٦٩- نيل الابتهاج بتطريز الديباج – أبو العباس السيد أحمد بن باب ( ت١٠٢٣هـ ) ، مطبوع هامش الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب لابن فرحون ، مطبعة الفحامين ، مصر ، ط١ ، ١٣٥١هـ.
٧٠- الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن ، لمحمد أبو زيد ، البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٤٩هـ.
٧١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت .